المحاضرة السادسة
في قصيدة الومضة

أولا: تسميات قصيدة الومضة:

عُرفت قصيدة الومضة بتسميات مختلفة، منها: النثيرة، والتوقيعة، واللمحة، واللافتة، والمنمنمة، والبرقية، والتلكس الشعري، وقصيدة المشهد، وقصيدة الخاطرة، وقصيدة الفكرة، وغير ذلك من التسميات. ولعلّ أكثر المصطلحات تداولاً هي: الومضة، والتوقيعة.

ثانيا: في تعريف الومضة:

أ- لغة: الومضة لغةً من ومضَ البرقُ: لمع خفيفاً، وأومَضَتِ المرأةُ: سرقتِ النّظر، وأومضَ فلانٌ: أشار إشارة خفية[1]. وفي هذا المعنى شيءٌ مِن اللّمعان والبريق والإضاءة والتألُق والإشراق.

ب-**اصطلاحا**: تُعد قصيدة الومضة نمطاً جديداً من أنماط القصيدة العربية، تُبني في الغالب على عدد محدود جداً من الكلمات والسطور، وهي بسيطة مختزلة ومختصرة، تعتمد بشكل كبير على التكثيف والاختزال والاقتصاد اللغوي.

ثالثا: نشأة قصيدة الومضة:

أ- النشأة الشعرية:

النصوصُ الشعريّة التي عُرفت باسم الومضات راجت في ستينيات وسبعينيات القرن الماضي، وباتت تستقلُّ بنفسها حتي أصبحت شكلا شعرياً خاصّاً إلي جانبِ الأشكال الشعريّة المعروفة، غير أنّنا نجد حولها مواقف متباينة تجعلُ قضيتَها غير محسومة حتي اليوم. ولقد كان من روادها عز الدين المناصرة، ونزار قباني وأحمد مطر وسعدي يوسف وأدونيس، مظفر النوّاب. ويعود الفضل في نشأة هذا الجنس الأدبي في الشعر العربي الحديث والمعاصر إلى الشاعر والناقد الفلسطيني **عزّ الدين المناصرة** الّذي كان يرى أنّه أول من اكتشف هذا الجنس الأدبي بين 1962 و1964م، حيث كتب في هذه الفترة نصوصا شعرية قصيرة جدّا.

ب- التنظير النقدي

يعدّ عز الدين المناصرة أول كتب في موضوع الومضة سنة 1964، حيث أطلق عليها تسمية **(التوقيعة)**. يشير بعضهم إلى أنّ عزّ الدّين اسماعيل هو أوّل من استخدم المصطلح الدالّ على هذا النمط من القصائد سنة 1967م حيث سمّاها بـ(القصيدة القصيرة). ويشير آخرون إلى أنّ الفضل الأول في التنظير للومضة الشعرية إنّما يعود إلى محمد ياسر شرف، وذلك من خلال كتابه (النثيرة والقصيدة المضادة) الذي صدر عن النادي الأدبي بالرياض عام 1981م. وقد خصّ هذا الجنس الأدبي ببحث مستقل جعله تحت عنوان: (النثيرة جنس أدبي جديد).

---

[1] - يُنظر: المعجم الوجيز، مجمع اللغة العربية، مطابع شركة الإعلانات الشرقية، دار التحرير للطبع والنشر، جمهورية مصر العربية، ،1989ص .682.

رابعا: جذور قصيدة الومضة:

عايش مصطلح قصيدة الومضة ما عايشته كثير من المصطلحات العربية الحديثة في إشكالية البحث عن جذورها.

1- الأصل العربي:

يرى فريق من الباحثين أنّ هذه الظاهرة لها أصولا في ذاكرتنا العربية، إذ يمكننا القول إنّ قصيدة الومضة هي إحياء أو إعادة صياغة لما نعرفُهُ في الشعر العربي القديم مِن الأوابد أو المقطّعات، أو ما يعرف بالبيت اليتيم، ولاسيّما فنّ التوقيعات العبّاسية.

2- الأصل الغربي:

يميل عدد من النقاد إلى أن شعر الومضة تأثر بمؤثرات أجنبية قديمة أو معاصرة؛ فقد تكون الومضة- حسب بعضهم- هى نتاج لتطوّر ما كان معروفا عند اليونانيين بفن الأبيجرام. وقد تكون الومضة- حسب البعض الآخر- محصّلة لبعض الفنون الشعرية والنثرية المعاصرة منها الشعر الانجليزي القصير والقصة القصيرة وقصيدة «الهايكو» أو «التانكا» اليابانيتين، أو حركة الأدني «Minmalism»التي برزت في الولايات المتحدة، ونادت «بكتابة مختصرة لحياة مختصرة».

خامسا: سمات قصيدة الومضة:

تلتزم قصيدة الومضة بالكثافة والإيحاء، والنهاية المدهشة، والمفارقة، وتنبثق من موقف انفعالي، ولحظة مأزومة، وتبنى على صورة كلية واحدة، وعلى الوحدة العضوية. وتتسم الومضة بجملة سمات أهمها:

1-**القصر:** تتسم قصيدة الومضة بالقصر والإيجاز الشديد، وهذه الخصلة سمة مقومة لها، إذ تعمد إلى بناء صورة كلية من منطلق صورة واحدة، وتقدّم فكرة ما، وتجسد موقفًا انفعالياً واحدا

2-**الإيحاء والتكثيف**: تعتمد قصيدة الومضة على التكثيف الشديد، المكتنز بالدلالات والإيحاءات.

3-**شعرية الومضة**: تميل اللغة الشعرية للومضة إلى البساطة والسلاسة، مع صورة بديعة ومعرض حسن.

4-**سردية الومضة:** تشتغل قصيدة الومضة كثيرا على النمط القصصي، حيث تعتمد على السرد والحوار بطريقة بسيطة وموجزة، مما يزيد من جمال القصيدة وتأثيرها.

5-**العتبة النصية والخاتمة المفارقة:** تأتي نهاية الومضة مفارِقة، ومدهشة، وليس هذا الأمر جديداً، فقد اهتم البلاغيون العرب بخواتيم القصائد بوصفها آخر ما يصحب القارئ في النص. وتؤدي الخاتمة المفاجئة وظيفة إدهاشية، وتجذب المتلقي حين تكسر أفق توقعه. وقد انحرف شعراء الومضة عن المألوف، وغيروا النسق عن النظام اللغوي السائد.

يقول أحمد مطر في لافتة «إضاءة»:

يخيّم الصباح
فأرفع الستارة عن نافذتي
وأشعل المصباح[2].

[2] - أحمد مطر لافتات، ص22.